العصيان المدني

بقلم

منير العبهاني

عني بنشرهما

يوسف توما البستاني

صاحب مكتبة العرب بالفجالة بمصر

١٩٢٣

مقدمة

العصاميون رجال عزم وحزم نبغوا باعتمادهم على أنفسهم فاقتحموا - دون ملل ولا كلل - ما اعترض طريقهم من العقبات بصبرهم على الشدة أيام محنتهم والمثابرة على العمل - والمثابرة بعزم صادق أس النجاح - فجنوا ثمار كدهم ونصبهم وخلد لهم التاريخ صحيفة فخر ناصعة ولأعمالهم ذكرى تهرم الايام ، وهي في عنفوان . وأنه لحقيق بأصحاب النفوس الضعيفة ان يكون لهم في حياة هؤلاء العصاميين قدوة حسنة تشجعهم على انهاج سبل الفلاح ؟

فريد البناني

— ١ —
العصاميون

جورج ستيفنس مخترع الآلة البخارية

ولد جورج ستيفنس لتسع مضت من شهر يونيو سنة ١٧٨١ في قرية وبلام التي تبعد تسعة أميال عن مدينة نيوكاسل بلغ من العمر تسع سنين وأبوه عاجز عن ارساله الى كتاب القرية لعدم استطاعته القيام بنفقة تعليمه اذ كان عاملا صغيراً لا يتجاوز اجره اليومي ثمان شلنات في الاسبوع وكان أشد الناس اسفا على ضياع مستقبل ولده الذي يبدو فيه الذكاء والرغبة في التعليم. حاز جورج العقد الاول من حياته فرضيه احد تجار القرية ان يرعى له غنمه في مقابل بنسين كل يوم. اقتنع ابوه بذلك ان ولده رفض في بادئ الامر ثم قبل مرغما لانه لم يخلق راعياً فقد نشأ متشربا بحب الميكانيكا وكان يصرف معظم اوقاته في حل بعض الآلات العاطلة ويجهد نفسه في تصليحها وكان يصرف كل ما لديه من النقود في شراء

أخوات الحدادة . علم الوالد رغبة ابنه فانتظر حتى بلغ جورج الخامسة عشر واتخذه مساعداً له في عمله وهو تصليح آلات رفع الماء . وما علم جورج بذلك حتى كاد يطير من الفرح اذ كان ذلك ما يتمناه . جد واجتهد حتى تعلم مهنة أبيه في وقت قصير وشعر انه كفء لعمل ينفرد بالقيام به فسعى حتى الحق بوظيفة عامل صغير لتصليح الكباري المقامة على النهر فعهد اليه بعمل احسن اداءه ورضي عنه رؤساؤه فزادوا راتبه حتى بلغ شلنين في اليوم فكان كلما خلا الى نفسه يقول : « أصبحت ولي صفة في الحياة لاني أودي عملاً » وكان اذا اقتصد مبلغاً يسيراً من النقود يقول « ما اسعدني أصبحت غنياً اكسب من نصبي » بلغ جورج السابعة عشرة من عمره وهو لا يزال في عمله حتى اشتد ولعه بفن الميكانيكا فلم ير بُداً من تعليم القراءة والكتابة ليتمكن من الاطلاع على كتب الاقدمين والاستعانة بآرائهم فأخذ يتردد على مدرسة ليلية يدرس فيها ولم يمضِ وقت كبير حتى فاز على اقرانه وشعر بلذة الحياة الادبية فكان يبتاع كتب الهندسة يدرسها ويطلع على آراء غيره من الاقدمين فأصبح يعلل نفسه بآمال

كبيرة ليست إلا اختراع آلة تسير بالبخار. واذا كان جورج يفرق فى أحلامه وآماله فيرى منها معنى النعيم كانت « فان هندرسون » وهي ابنة مزارع فى القرية تتردد على منزله تشاطره أحلامه فعلقها واختارها لنفسه زوجاً واصبح وليس له رجاء إلا الدخول بها . جاز العقد الثاني من حياته فاقترن بحبيبته (فان) وقد اضطر عمله حينئذ ان يبرح قريته ويذهب الى المنجوزت التي تبعد سبعة أميال عن نيو كاسل فاخذ عروسه معه وما هي إلا أيام حتى تنكر له الدهر وعملت الايام على شتوته فعدا المنون على زهرته الناضرة وزوجته الطاهرة (فان هندرسون) . تمكن منه الحزن والأسى فتساقطت نفسه أسفاً على بدره الذي هو من سمائه وتقطعت احشاؤه حزناً ولهفاً على زوجته لم يتمتع بها بضعة أشهر . دهمه ذلك الخطب الفادح والرزيئة الفاجعة فلم ير بداً من الرحيل . ذهب الى اسكتلانده ولاقى من الصعوبات اشدها فمكث سنة لم يوفق فيها طعم الهناء فرجع الى مقره يعول ابويه وقد انهكهما الكبر وكاد الفقر يأتي عليهما . ساءت حالتهما فأخذ الابن فى برهما والقيام بنفقاتهما وقد اضطره ذلك الى

مضاعفة عمله فكان يقوم بعمله نهاراً ويصلح الاحذية ليلا وكأني به وقد أراد الله اثابته على بر والديه فحدث حادث كان سبباً في اذاعة شهرته ذلك ان احدى آلات رفع الماء تعطلت فأعيت في تصليحها كثيراً من المهندسين فدعو جورج وقد يئسوا فجاءهم وماهي الا ساعات حتى اعاد الآلة الى ما كانت عليه واصلح ما افسده غيره من المهندسين فنال في سبيل ذلك مبلغاً عده جسيما ما كان يرجو الحصول على مثله وهو مائة جنيه

عاوده الامل حينئذ وفكر في تحقيق احلامه الأولى واختراع آلة تسير بالبخار فأخذ في تعزيز فكرته بيد انه لم يبدأ في عمله حتى داهمت المنية ابويه فصرف معظم ماليديه في القيام بنفقات وفتها مترحلا عن الدنيا داعين له بالسعادة والهناء . عاود جورج شيء من اليأس بعد ذلك واصبح تحقيق أمانيه صعب المنال لانه اصبح فقيراً وحيداً انقضى وقت الحداد . وبلغ جورج السادسة والعشرين فعاودته الفكرة ثالثا وصمم على تحقيقها بأية وسيلة فعرضها على رجل من اهل السمت فلم يبخل بتعضيده مادياً وادبياً وشجعه على

تحقيق أمنيته فصنع جورج آلة تزن ثمانين طناً بسرعة أربعة أميال في الساعة وعمت دوياً واهتزازاً عمومياً . انتشر خبرها في أنحاء المملكة فأخذ البعض يضحك منه والبعض يهزأ باختراعه حتى كاد يفنى أمله بين التنكيت والتبكيت ولكنه لم يصغ الى هزرهم وسخرهم وظل يجهد نفسه في تحسين اختراعه وتصليح النقص حتى تم له بعض ما يريد وكان يشتغل في الوقت نفسه احد أعوان جورج وهو المستر بيز يطلب رخصة لمد سكة حديدية من مدينة مانشستر الى ليفاربول فحاز طلبه القبول وعهد الى جورج القيام بعملها . تمت السكة الحديدية على يد جورج وسار القطار لأول مرة في انكلترا من مدينة مانشستر الى ليفاربول بسرعة اثنا عشر ميلا في الساعة وكان ذلك في أوائل شهر سبتمبر سنة ١٨٢٧ . انهالت عليه الطلبات بعد ذلك ونبه ذكره وطارت سمعته ونال ثروة طائلة فعمد على تحسين اختراعه واجتهد في زيادة سرعة القطار ولكنه قضى سنة ١٨٨٧ بعد ان عاش ستين سنة قضاها في خدمة الانسانية محققاً آماله بجده واجتهاده

طويت صحيفة ذلك العامل العصامي مخلداً له التاريخ

صيتاً من المجد والفخار وقد قيل انه كتب وصية لأحد أصدقائه الفقراء ولدينا من آثاره مايدل عليه فلقد قرب البعيد وسهل الصعب وترك له ذكرى تتناقلها الاعصر

— ٣ —

همفري ديفي

مخترع المصباح الامين

ولد همفري ديفي في مدينة بنزانس سنة ١٧٧٨ من أب يعتمن التجارة ولا تزال بعض اعماله باقية الى اليوم في منازل بعض سكان بنزانس . تلقى همفري مبادئ العلوم في مدرسة تروورو وأتم دراسته الابتدائيه وهو في الثانية عشرة فعهد به أبوه الى صيدلي في المدينة بيد ان الولد لم يخلق ليكون طبيباً أو صيدلياً بل كان يميل بطبعه الى الكيمياء وعلى ذلك ظل يصرف أوقاته جائلا في طرق المدينة وكان اذا ارغم على العمل يشتغل بأشياء لاتخلو من الخطر وانتهى أمره بأن ترك استاذه الصيدلي وقد بلغ الرابعة عشر فرضيه طبيب

جراح في المدينه ان يكون له تلميذاً وكان شأنه مع استاذه الثاني شأنه مع الاول

انفرد بعد ذلك وفرّغ نفسه لدراسة العلوم التي اختارها ثم اختط لنفسه خطة يسير عليها فتم له بعض ما يريد فبلغ السادسة عشرة وهو على دراية تامة بمبادىء الفلسفة الطبيعية والكيمياء ولم يقتصر على ذلك بل تمكن من الوقوف على شيء من علم النبات والتشريح والهندسة حتى المعقولات (الميتا فيزك) ولا يزال جدول دراسته باقياً الى اليوم وهذا ترتيبه :-

(١) اللاهوت أو الديانات
(٢) الآداب أو الفضائل العقلية
(٣) جغرافيا
(٤) علم النبات (ب) الصيدلية (ت) التشريح (ج) الجراحة (س) الكيمياء
(٤) المنطق
(٥) اللغات الخ

انفرد بعد ذلك لدرس الكيمياء درساً وافياً ومع صغر

سنه كان يعلل نفسه بآمال كبيرة وشهرة تملأ العالم وكان يستعين على عمله ببعض أواني المطبخ ويذهب الى الشاطئ باحثاً عن بعض معادن كان عاجزاً عن الحصول عليها لشدة فقره وأول تجربة قام بها كانت معرفة الهواء الذي يتخلل الاعشاب المائية بواسطة متانات تمكن من اكتشافها بعد اجهاد خاطره . وكان يتردد من وقت لآخر على استاذ في القرية لم يبخل عليه ببعض زجاجات صغيرة ومعادن واملاح ولقد حظي مرة بهدية لم تكن غير طائفة من الآلات الجراحية جاد بها عليه طبيب فرنسي وكاد يطير ريفي فرحاً لانه تمكن من استعمال بعضها في تجاربه الكيماوية . توفي والده وهو في السابعة عشرة إلا أنه ثابر على دراسته فتمم دراسة الكيمياء منفرداً على شدة فقره وعوزه وقد حظي وقتئذ بمعرفة المستر جورج وات بن جمس وات وقد جاء نيزاس طلباً للراحة فكان نزيل السيدة ريفي وهي والدة الفتى فتمكن من اختبار ريفي والوقوف على معلوماته في الكيمياء فسحب بذكائه وفطنته وظل يساعده ويشجعه على المثابرة فوصل خبره اذ ذاك الى المستر ديفز جلبرت رئيس

المعهد الملكي فجلس يوماً مع ريفي فعرف نفسه اليه وحادثه فسره ذكاؤه وسرعة خاطره وسمح له بالتردد على المكتبة الملوكية للاطلاع على كل مايلزمه من الكتب وعده بالمساعدة ولم يمض على ذلك وقت كبير حتى أنجز وعده وعرّفه الى المستر بدوس الكيماوي الشهير وصاحب معمل بريستول وكان ريفي حينئذ في الثامنة عشرة من عمره فعزم على الرحيل الى أونبره لتحقيق أمانيه ولعدم استطاعته القيام بتجاربه في نيزاس وما علم المستر بدوس بعزم ريفي حتى سمح له بالقيام بتجاربه في معمله ببريستول مجاناً وذلك تعضيداً له وتحقيقاً لأمانيه ورغائبه فنجح نجاحاً باهراً ونجحت معظم تجاربه في معمل بريستول فذاع صيته ونبه ذكره. وما بلغ الحادية والعشرين حتى تمكن من وضع كتاب اسماه (المباحث الكيماوية) شرح فيه سر الاكسيد الزوحي فانتشر كتابه وتصفحه كثير من علماء الكيمياء فأجمعوا على صحته وأصبح ريفي من أمهر الكيماويين واسندت اليه رياسة المعهد الملكي فصار يحاضر في الكيمياء فيصغي الى محاضراته كثير من فطاحل الكيماويين وظل على هذا المنوال عاماً كاملا

اسندت اليه بعده رياسة المعمل الكيماوى الزراعى وطبعت جميع محاضراته على نفقة المعهد سنة ١٨١٣ . وفى سنة ١٨٠٢ حاز ريفي لقب شرف (Knight hood) من البلاط الملكى وكان أول من حاز هذا اللقب . وما هى إلا أيام حتى عقد قرانه على سيدة من أغنياء عيون قومه وقد ظهرت رسائله الوداعية بين زوجته السيدة آبرس واخوته سنة ١٨٣٩ وانتخب بعد قرانه مراسلا للمعهد الفرنسى فى باريس سنة ١٨١٣ وحاز لقب بارون سنة ١٨١٨ وأصبح عضواً عاملا في الجامعة الملوكية بباريس وفي الوقت نفسه كان سكرتيراً للنادى الملكى فى انجلترا وقد خلع منصبه الأخير على استاذه المستر بيدوس فقبله شاكراً له اعترافه بالجميل ومن اختراعات ريفي الشهيرة «المصباح الأمين» الذى نجح فى اختراعه حين كثرت مصائب الانفجار فى المناجم وحاز اختراعه القبول وقد أدب أحد أصحاب المناجم مأدبة عظيمة سنة ١٨١٧ دعى اليها المستر همفرى وقدم اليه الفي جنيه مكافأة له على اختراعه الذى سبب نجاة كثير من عمال المناجم وفى سنة ١٨٢٧ شعر بضعف صحته

فاستقى من رآسة المعهد الملكي ورحل عن انجلترا قاصداً أوروبا حيث كان يراسل بعض الصحف والمجلات الانجليزية وانشأ بعض مقالات أدبية ظهرت ١٨٢٨ ودوّن كتاباً نشأت عنه اذاعة شهرته في أوروبا ووضع كتاباً آخر اسماه (آخر أيام الفيلسوف) وقضى في اليوم الثاني من وصوله الى مدينة جنيف لواحد بقي من شهر مايو سنة ١٨٢٦ طويت صحيفة ذلك المصامي العظيم ولم يتجاوز الحادية والخمسين من عمره وقد تمكن من تحقيق أمنيته ونال ذكرى تتناقلها الاعصر وقد خلد له التاريخ صفحاً من المجد والفخار

بحث أحدهم عن اعتقاداته الدينية فعثر على جملة سطرها في أواخر أيامه وهذا نصها :—

« اني أجل العواطف الدينية واكبرها ولا أحسد أحداً على نعمة العقل والفطنة والتخيل ولا أرى أفضل وأنفع من اعتقاد ديني ثابت يتمسك به كل فرد من أفراد هذا العالم

جمس كوك

مكتشف جزائر بحر الشمال

خلد التاريخ صحيفة ناصعة من المجد لعصامي حسن السمعة يدعى جمس كوك قام برحلات عظيمة خاطر فيها بحياته خدمة لوطنه واكتشف اكتشافات مجيدة دونت وانتشرت في علم الحياة الأدبية ونالت استحسانا عظيما

ولد ذلك العصامي النابه الذكر في نوفمبر سنة ١٧٢٨ في في قرية ماتون التي في شمال مقاطعة يورکشير من أبوين فقيرين منحورى النسب وكان أبوه عاملا صغيراً في احدى مزارع القرية . لما بلغ جمس الثانية من عمره رحل أبوه عن مقره واستوطن آشبون ناظراً لمزرعة صغيرة. بلغ جمس الثامنة فأخذه والده مساعداً له في المزرعة ولم يتقن علومه الابتدائية إلا حين بلغ الثالثة عشرة وقد أحسن دراسة الحساب والجغرافيا ولما أتم دراسته عهد به أبوه الى بدال في قرية تبعد عشرة أميال عن مدينة (هورشي) فأظهر الولد من النشاط والاجتهاد ماجعل سيده يثق به ويحبه كولده

إلا أنه لحظ عليه الكآبة والحزن فسأله عن السبب فعلم منه انه يميل الى الملاحة ولا يرجو غير الالتحاق بأحدى البواخر فسعى له حتى ألحقه بوظيفة صغيرة فى احدى بواخر الفحم فكان يطير فرحا وأحسن اداء عمله فحاز رضاء رؤسائه ونال ثقتهم جميعا فمكث سنة كاملة تمكن فيها من درس شيء عن الملاحة فنجح وفى عام ١٧٢٢ عين قبطانا من الدرجة الثانية لباخرة تجارية ولم يمض عليه عام حتى اضرمت نار العداوة بين انكلترا وفرنسا وأخذت الاولى فى تسليح معظم البواخر التجارية فانتهز جمس هذه الفرصة وتطوع فى احدى البواخر فقبل وعين ربانا للباخرة الحربية (أيجل) تحت قيادة الكبتن (هوج) فأجاد العمل وحبه رؤسائه ولم يلبث غير يسير حتى نقل الى باخرة تسمى (مركيودى) كانت في جملة البواخر القاصدة غزو كوبك تحت قيادة الجنرال وولف فعهد اليه بعمل خطير في جزيرة أورليانس نجح فيه بمعجزة وقد شعر بنقص في معلوماته الهندسية فجد حتى تمكن من دراستها وواصل ليله بنهاره مجداً حتى وقف على شيء من علم الفلك وبعد موقعة كوبك وانتصار الانجليز

ذهب الى (نورذمبرلاند) وعهد اليه بعمل المقاييس ورسم بعض الخرط فأبلى بلاء حسناً ووضع خريطة أظهر فيها المواقع التى تصلح للتحصين فنالت استحساناً عظيماوفى أواخر تلك السنة قام فى انجلترا بعض أعضاء المعهد الجغرافى وأخذوا في اعداد حملة بحرية تقوم ببعض اكتشافات وانتدبوا لها « الكسندر دارلمب » فرفض وكان كوك قدعاد فى ذلك الوقت الى انجلترا وتيه ذكره ونشرت الصحف مقالات مدحت فيها بسالته وذكرت كل ماقام به ذلك الرجل فرأت (الجمعية) أن تنتخبه لتلك الحملة بدلا من الكسندر فقبل مرتاحاً وعين ملازماً بحرياً من قبل الاميرالية وقد اشتهر بذكائه وسرعة خاطره وشجاعته فرحل واكتشف كثيراً من جزائر بحر الشمال ونزل فى جزيرة أوتاهت وتعرف الى سكان تلك الجزيرة وأخذ يدرس طباعهم وأخلاقهم ولم يبخل عليهم بالمؤن فأخلص اليه أحدهم ـ توبيا ـ وسأل أن يصحب كوك في رحلاته فلبي طلبه وقد سمى الجزائر التى اكتشفها « سوسيتي أيلاندس » . البحر من تلك الجزر حتى قرب من شواطىء نيوزيلاند واكتشف ميناءً طبيعية اسماها

(كوين شرلوت ساوند) ورجع الى وطنه فى الثانى والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٧٧١ وذلك بعد ثلاثة أعوام قضاها فى البحار وما وطئت قدماه انجلترا حتى أخذ فى اعداد مهمات لحملة ثانية قام بها فى الثالث عشر من شهر يوليو سنة ١٧٧٢ وبعد أن طال ثلاثة أشهر قطع فيها مسافة لا تقل عن تسعين الف ميل بحرى اكتشف جزائر أخرى ولاقى من الصعوبات أشدها ومن الخطر عظيمه فمين بعد رجوعه وحملته الثانية عضواً فى الجمعية الملوكية والقى محاضرة فى الملاحة نالت استحسانا عظيما فانعم عليه بنيشان ذهبي ولكنه لم يحظ به اذ كان قد رحل للمرة الثالثة وذلك فى الثامن عشر من يناير سنة ١٨٧٨ وأخذ معه فى هذه الحملة مؤنا وذخيرة لانه اعتزم اطالة مدة غيابه فاكتشف حينئذ جزيرة عظيمة يسكنها نفر من المتوحشين فلما نزل الى ساحل الجزيرة خر له سكانها ساجدين معتقدين انه إله من الآلهة ولانه أول من وطىء تلك الجزر فقابلهم بالحسنى وتمكن من المثول بين يدى ملكهم فأدب له مأدبة شائقة . رجع فى مسائها الى الباخرة وأشعل بعض (سواريخ نارية) احتفالا بالملك وشكراً له على دعوته

وما هي إلا أيام حتى عاد السكان الى وحشيتهم وحقدوا على ذلك الجنس الابيض الذى كان سبب انزعاجهم وجعلوا يترقبوا نزوله ليقتلوه فشعر الكبتن كوك بذلك وقد نفد ماعنده من الماء فاضطر الي المخاطرة بنفسه ورجاله ومقاتلة السكان فأعد حملة برية ورام استعمال الحسنى أولا فطلب مقابلة الملك فأذن فدعاه كوك على ظهر الباخرة معتقداً انه اذا تمكن من أخذ الملك أسيراً عنده ينال كل ما يحتاج اليه من مؤن وماء فقبل الملك الدعوى ولكنه لم يستطع الوصول اليه اذ وقف في طريقه بعض عيون شعبه ونصحوا له بالرجوع وأوقفوه على نية « كوك » وهجم أحدهم ليقتل كوك ولكنه نجا منه واطلق عليه عياراً ناريا فقتله للحال فنشبت معركة بين رجاله ورجالهم وفر كوك طالبا الشاطئ حتى اذ اقترب منه صار بين نار العدو ونار الباخرة فلحق به أحد الرجال وأغمر في ظهره خنجراً قضى عليه وسقط هامداً شطر في البحر وشطر في الارض وقد مات معظم رجاله وتمكن الباقي من الرجوع الى انجلترا حيث أذاعوا الحادثة فرن الاسى في أنحاء انجلترا ودوى الحزن بجوب البلاد

ذهبت في العام التالي لهذا الحادث حملة قاتلت السكان ونقشوا على صخرة سقط بجانبها الكبتن جمس كوك هذه الكلمات :-

الكبتن جمس كوك

«قتل بيد أثيمة واكتشف هذه الجزر مضحيا»

«بحياته في خدمة وطنه العزيز سنة ١٧٨٨ ميلادية»

وليم چيفورد

وليم چيفورد رجل نبغ وصار من صاغة الكلام وأئمة الكتاب وخيرة المؤلفين عانى الشقاء وآلامه وكاد يأتي عليه الفقر فاستخف بالمصائب ولم يحفل بها فذاعت شهرته وتيه ذكره وحقق بجده أمانيه . بدأ الحياة اسكافياً حقيراً وختمها عصامياً كبيراً . ولد ذلك العصامي النابه في قرية (اسبرتون) من أبوين فقيرين وكان أبوه نوتيا على ظهر احدى البواخر التجارية وقد اضطرته مهنته الى مبارحة بلده وبعد ولادته كفلت الأم بتربية ولدها وكانت على فقرها مستملحة الأدب عضبة اللسان سليمة الملكة فعنيت بتعليم ابنها ولما بلغ السادسة عهدت به الى مدرسة عجوز في القرية يتلقى عليها مبادىء القراءة والكتابة . آب الأب من سفره وقد بلغ وليم الثامنة فسعى حتى الحقه باحدى المدارس مجانا بيد انه لم يستقر سنه حتى طرد لعجزه عن دفع ثمن الكتب وقضى أبوه نحبه أثر مرض نشأ عن ادمانه الخمر ووضعت امه قبل وفاة زوجها بيضعة أسابيع غلاما صغيراً . خلف ذلك الوالد الفقير زوجة

وولديها يعانون آلام الحياة وقد اشتد بهم الفقر فجزعت المرأة على فقد زوجها وسالت نفسها حزنا على ضياع مستقبل ولديها وعهدها فى وليم الذكاء والفطنة فاخناها الفكر وأنهكها المرض فاغتبطتها المنية تاركة ولديها وحيدين . علم الجار بالفاجعة التي حلت بتلك الاسرة فتولى أمر وليم واخيه لاعن جهالهما واشفاقاً عليهما بل طمعاً فى ميراثهما الحقير وهو منزل صغير وبعض اثاثات بالية

تعهد كارليل وهو اسم ذلك الرجل أمر الولد الصغير فبعث به الى ملجأ للحكومة وارسل وليم الى مدرسة صغيرة ليتم دراسته حتى اذا احسن وليم القراءة والكتابة كف كارليل عن دفع نفقات تعليمه مدعياً أنه عاجز عن القيام بها وقد نفذ مايخص وليم من ذلك الميراث الحقير فاوعز اليه انه يجدر به ان يتعلم مهنة يكتسب فيها مايسد به رمقه واختار له أن يكون اسكافياً . وما علم الولد نوايا كارليل حتى كاد يذهب به من شدة الحزن واشتد حنقه على ذلك الغاصب ورفض في بادىء الامر ثم قبل مرغماً . توجه وليم الى اسكافى فى القرية وظل يشتغل ودموعه تسبقه في رواحه لأنه

يؤدى عملا لم يخلق له فانه نشأ وله شغف بحب العلوم والآداب
حتى انه كان يحيي ليله سهرا منكبا على دراسة بعض كتب حصل
عليها رغم الصعوبات التي اعترضته وكان يتردد على استاذ عجوز عهد
في وليم حسب التعليم فلم يبخل عليه ببعض معلومات وكتب
صغيرة وكان يمثل نفسه بأمل كان في نظره كبير جدا
وهو ان يلتحق باحدى مدارس القرية بصفته مدرس صغير
وقد بلغ حينئذ السادسة عشره وعمد الى تعليم الشعر فجد
حتى تم له بعض ما يريد وتمكن من وضع بعض قصائد صغيرة
كان يعرضها على اصدقائه فنال استحسانا عظيما وكان يعضده
البعض بقليل من النقود ولم يعد وليم يلتفت الى العمل
المنوط به بل كان يصرف أوقاته في القراءة والكتابة حتى لهذا
علم كارليل بذلك ارغى وازبد وكادت تتفطر مريرته من الغيظ
فجاء الى وليم وأنبه واغلظ له في القول ولم يقتصر على ذلك
حتى اخذ بعض كتبه ومزقها امامه مهددا اياه بالطرد ان لم
يزعن لأوامره تأثر المسكين من تلك المعامله القاسية وكاد
ييأس لولا قوة عزيمته وآماله الكبيره وكأني به وقد
أراد الله خيرا فالهمه الذهاب الى سيد من أهل السمت يدعى

كوكسلي . كان جراح القرية ذهب وليم الى المستر كوكسلي وعرض عليه حاله وبث له شكاته فأشفق عليه وأعجب بذكائه وسرعة خاطره ووعده بالمساعدة وجمع لوليم مبلغا من المال مكنه من تلقي العلوم على أستاذ فاضل يدعى (سمردين) فنجح واتقن الشعر وحاز رضاء استاذه الذى سعى له والحقه بكلية اكسفورد بعد الجهد الجهيد . كاد وليم يطير فرحا حين وجد نفسه فى مجتمع راق مملوء بالآداب مفعم بالعلوم وأخذ يجد ويجتهد حتى فاز على اقرانه وما جاء يوم الامتحان حتى نجح وليم نجاحا باهراً شرفت به المدرسة وكبر شأنها عند الأمة وقد استصحبه غطريف يدعى لورد جردر ورحل به الى أوربا وهناك تم دراسته ورجع الى انجلترا واستوطن مدينة لندن وابتدأ يكتب مقالات ادبية نشرت سنة ١٧٦٢ وفى سنة ١٧٦٤ نشر قصيدة دريةاللفظ عسجديةالمعنى اسماها « الباقية » وقد نالت استحسان الجمهور واكبرت سمعته وربح يراع ذلك الكاتب المتأنق صحيفة بعث بها الى صحيفة (انت جاكوبين) وكتب فى مقدمتها مامعناه

بقدر الجد تكتسب المعالي * ومن طلب العلا سهر الليالي

وقد وصف فيها تاريخ حياته فنقلتها معظم الصحف وتيه ذكره وماهي الا ايام حتى استدعته الصحيفة المذكورة ليكون رئيس كتابها فقبل ذلك المنصب وراجت تلك الصحيفة وأصبحت من أهم الصحف في ذلك الوقت وفي سنة ١٨٠٩ أنشأ مجلة أدبية أنفرد بتحريرها الى سنة ١٨٢٤ ثم تركها بعد ذلك لضعف تولاه وقد طار صيته وصار من اعاظم كتاب عصره ووضع كتب عديدة في الاداب والتربية وقضى ذلك العصامي النابه لواحد بقي من شهر ديسمبر سنة ١٨٢٦ بعد ان عاش ستين عاما مضاها في خدمة الانسانية والآداب فسلام على تلك الروح الخالدة

— ٦ —

جمس فرجسون

ولد جمس فرجسون سنة ١٧١٠ على مقربة من قرية كيت فى (بنفشير) من ابوين فقيرين لكنهما شريفين اعتاد الاب ان يتولى تعليم اولاده مبتدئا باشدهم وقد بلغ جمس السادسه فكان يرتقب ميعاد الدرس فيصغى الى مايلقيه ابوه على اخوته ثم يعمد الى كتاب يجهد نفسه فى قراءته واعادة ماسمعه دون ان يشعر به احد حتى اذا صعب عليه ذلك لجأ الى عجوز يستعين بها على فهم مايصعب عليه معتقداً أنه اذا خبر والده بذلك لايكون جزاؤه غير العقاب . فحا هذا النحو زمنا تمكن فيه من درس القراءة والكتابة وابوه يجهل ذلك حتى رآه يوما منكبا على كتاب يقرأه فى زاوية القرمه فوقع الدهش الى نفسه وكذب باصرته الا أنه آمن اذ عرف الحقيقة وكان جمس اذ ذاك تداوفى على الثامنة وحدث يوما ان سقف الغرفة سقط فجاء ابوه بدعامة صعب عليه اقامتها لثقلها فخطر لجمس فكرة اعجبت والده .

وهي أن يأتي ببكرة حديديه ويضعها في سقف الغرفة ويلف
حولها حبلا متيناً يصله بالدعامة فيسهل رفعها فراقت اياه تلك
الفكرة الصادره من غلام لم يهل التاسعه وأعترف لوالده
حينئذ بالذكاء وسرعة الخاطر واشتد اسفه على عجزه عن
القيام بنفقات تعليمه ولما بلغ جمس الثانية عشرة عهد به ابوه
الى مزارع يرعي له غنمه في مقابل بضع بنسات يوميا . توجه
جمس الى المزرعه وصار يرعى الغنم نهاراً ويراقب النجم ليلا
وانتقل الى مزرعة اخرى لفطريف من امائل قومه يدعى
جمس جلاشان فاشتدت رغبته في معرفة النجوم والمسافات
التي بين كل نجم وآخر فذهب ليلة ومعه مشكاة صغيرة
وانطرح على ظهره ثم جاء بدبارة وضع فيها خرز صغير
وصار يقارن بين النجوم والخرز ثم رسم ذلك على قطعة
من الورق وعرضها على سيده في الصباح فضحك منه غير
انه اعجب بالفكرة حين شرحها له جمس وبث في روحه
المثابرة فكان يضع في كل ليلة رسما جديداً وحدث ان عهد
اليه سيده ان يوصل رسالة الى شيخ القرية فأخذ معه ما رسمه
وعرضه على ذلك الشيخ فاعجب به وسره ذكاؤه فجاد عليه

بطائفة من الأدوات الهندسية وطلب منه رسما متقناً فأفلح جمس فى ماطلب منه وعرضه على المستر جلكرست وهذا عرفه بالمستر جرانت الذى استصحب جمس الى منزله ليشرح له كل ماصعب عليه ويوافيه بمعلومات هندسية لم يكن فى وسعه معرفتها . جاز جمس العهد الثانى من حياته فنجح فى دراسته الهندسية والحساب وتمكن من درس اللغة اللاتينية والفرنسية حتى اليونانية ثم عاد الى أبيه وقد اختطفت المنية استاذه الكريم المستر جرانت بعد أن جاد على جمس بكتاب نفيس فى علم الجغرافيا الطبيعية . تمكن جمس من فهمه بعد اجهاد خاطره ووضع كرة من الخشب رسم عليها الكرة الارضية مبيناً المقاييس الجغرافية بالضبط . ظل المسكين عاطلا لاعمل له إلا أنه يجدع الانف وجد عملا فى طاحون فمكث فيه سنة كاملة ذاق فيها العذاب اذ لم يكن يرأف به سيده فأنهكه التعب واخناه السهر وترك العمل ورجع الى دار أبيه فطلبه طبيب لم يستطع جمس الاذعان لأوامره فتركه ورحل الى لاونبره بعد ان درس شيئاً من علم الفلك وتصفح كتب الجغرافيا الطبيعية وصار يضع خرطاً جغرافية وينشر فى

الصحف كل مايقف عليه من علم الفلك حتى نبغ ذكره وتناقلت الصحف خبره وتمكن من معرفة سر كسوف الشمس وخسوف القمر فوضع كتاباً شرح فيه ذلك السر شرحاً وافياً اعجب به جم العلماء وأجمع الفلكيون على صحته فوصل خبره الى رئيس المعهد الملكي بلندن فجاء به ووعده بالمساعدة وعرفه الى كثير من أعضاء المعهد فوضع كتاباً نفيساً في علم الفلك قدر له أن ينال قسطاً وفيراً من الشهرة فطار صيته وانتشر كتابه وفي سنة ١٧٤٨ أخذ يحاضر في علم الفلك فيصغى الى محاضراته كثير من علمائه وفي سنة ١٨٦٣ اسندت اليه رياسة الجامعة الملوكية بلندن وطبعت محاضراته على نفقة الجامعة بعد ان قضى نحبه سنه ١٦٧٦

طوى الموت ذلك العصامي ونشر له صحيفة خالدة سطورها ماخطر لنفسه من آيات المجد وعلامات الفخار

وست في روما ونبغ ذكره وفي العشرين من يونيو سنة ١٧٦٣ رحل الى فرنسا قاصداً لندره فوصل اليها وكان أبوه في انتظاره وخطيبته التي عقد عليها بعد بضعة أسابيع من وصوله لندن حيث نوهت به الصحف وعرفته الى الشعب فزار معظم معاهد التصوير وتعرف اليه المصور النابه الاستاذ رينولد الذى تقدم به الى بعض عيون لندره

مضت أيام قلائل أخرج وست بعدها رسماً منقناً بمثل مقتل وولف فطار صيته واثنت عليه الصحف ووصل خبره الى الملك جورج الثالث فحظى بالمثول بين يديه فانعم عليه بلقب شرف (Kuigh hood) وصار يشتغل خصيصاً للملك ردحاً من الزمن

وصل خبره حينئذ الى نيويورك فاثنت عليه صحفها وماهي إلا أيام حتى اسندت اليه سياسة معهد التصوير الملكي بلندن وصار من امهر أساتذة التصوير في ذلك العصر

رحل الى فرنسا سنة ١٨٠٢ فتفقد معاهد التصوير المائي والزيتي وحظى بمقابلة بونابرت مرات عديدة ونال لقب شرف عن المعهد الفني بباريس وعاد الى لندن وقد بلغ

السنين فاستمر على العمل بعزيمة لا تفل وقوة لا تعل واجهد فكرته فوضع رسماً متقناً مثل فيه المسيح يبرىء المرضى فأصاب من وراء ذلك الرسم مالاً جمًّا ووضع ذلك الرسم في المستشفى الملكي بلندن

كلل الله أعمال ذلك المصامي بالنجاح فظفر بثمرة تعبه واستمرأ لذة ظفره ثم قضى بعد ذلك لعشر خلت من شهر مارس بعد ان عاش نيفاً وثمانين عاماً ملأها عملاً فخلق بهذا الجلد من نفسه

رنّ الأسى في أنحاء انجلترا ودوى الحزن أنحاء أمريكا أسفاً على أنامل ذلك المصامي التي يلعب بها الموت وقد كانت تلعب بأرواح العباد

— ٨ —

سير وليم جونز

ولد تحت سماء لندرة في ربيع سنة ١٧٤٦ عصامي نابه يدعى وليم جونز يحفظ له التاريخ ذكراً حسناً ما كرّ الجديدان نشأ في والدين شريفين أب حديدي الذكاء وام مستملحة الادب عصبية اللسان وما مضى على ولادته عامان حتى اعتبطت المنية ابوه فتولت الام تربيته

تعلم القراءة والكتابة ثم رحلت به أمه الى هانوفر وفي سنة ١٧٥٣ ارسل الى مدرسة ابتدائية فلم يهل التاسعة حتى فاز على اقرانه وكاد يحيز قصب السبق في الامتحان لولا مرض الزمه الفراش . عاد الى المدرسة بعد ان شفي ولم يعلم أستاذه سبب غيابه وظن ان سقوطه في الامتحان نتيجة الاهمال والكسل فأنبه واغلظ له في القول فاذعن وليم لكل ما ناله وانكب على دراسته وما انتهى العام حتى نجح وليم نجاحاً كان فخر المدرسة فنقل الى مدرسة ارقى وابتداء دراسة اللغة اليونانية واجتهد في درس اللاتينيه فنجح وكان قد

اوفى على الخامسة عشرة فدرس الفرنسية واحسن الايطالية واوشك في الوقوف على شيء من العربية والعبرانية واستمر على الاستذكار فاعمل فكره واجهد خاطره في اتقان اللغات الاجنبية فنجح في امتحان الثاني وقد بلغ السابعة عشرة فارسل الى كلية اكسفورد ومازالت أمه تكفله وتقوم بنفقات تعليمه فكان يتألم لذلك ولا يرجو غير تحقيق أمانيه ليكافىء تلك الأم التي وقفت حياتها لتربية ولدها .

ثم وليم دراسته باكسفورد وأعوزت الام النفقات فسعى حتى الحق بوظيفة مدرس للورد (التروب) وكان يبلغ سبع سنين وبعد مضى سنة درس فيها اللغة الالمانية واحسن الصينيه زار لوندرة ملك هولندا ومعه كتاب تاريخ (ناردشاه) مدون باللغة الفارسية وطلب ان يترجم له فارسلوا في طلب جونس وقد نبه ذكره حينئذ وتعرف اليه كثير من الادباء فعهدوا اليه بترجمة الكتاب فاشتغل بترجمته عاماً نقله فيه الى الفرنسيه بعد عناء فقدروا عمله واكبروا فضله واغدقوا عليه الخير والاحسان

جاز العقد الثاني من حياته فرحل الى (هارو) وهناك

وضع ترجمة النحو الفارسي ووضع قاموساً قدر له ان ينال قسطاً وفيراً من الاذاعة والشهرة

عاد الى لندره ولم يزل نجمه في سعود وهمته في صعود حتى نما خبره الى الملك فقبل عضوا في النادي الملكي وفي سنة ١٧٧٢ وضع كتابا اسماه (مبادىء النظم الاسيوى) وكان قد نقله من اللاتينية وظل كذلك يخرج لعالم الأدب في كل ربيع كتاباً جديداً حتى انهكه التعب واضناه السهر فعمد الى الراحة وذهب الى أمه وما هي الا أيام حتى اتى المنون على تلك المسكينة فقصفت نحبها سنة ١٧٨٠ بعد أن انبتت ثمرة كبدها نباتاً حسنا وتركته يطلب لها الرحمات ويسكب على قبرها العبرات

مضي زمن الحداد فاختط وليم لنفسه خطة يسير عليها وقت فراغه فوضع جدولا لمطالعته هذا ترتيبه : —

(١) التاريخ . الرجل . الطبيعة

(٢) الفنون . الشعر . التصوير . الموسيقى

(٣) العلوم . الحقوق . الرياضيات

(٤) اللغات . اليونانية . الايطالية . الفرنسية

وفي مارس سنة ١٧٨٣ اسند اليه مركز في القضاء وشغله ذلك عن الدرس إلا أنه قام به قياما مريحا فعين قاضيا لمحكمة بنغال العليا وانعم عليه بلقب (نايتهود) تأهب لمغادرة وطنه وكأنه سفر ابدى فعقد قرانه على آنسة من ذوى الحصانة والطهر شريفة المحتد وسافر معها فوصلا كلكتا وقد بلغ نيفا وثلاثين سنة . استلم مركزه الجديد واشتغل فيه بقوة وعزيمة وفكر حتى نبغ ذكره وتوجت اعماله بالنجاح ودرس اذ ذاك اللغة الهندية واتقنها فترجم القانون فزاع الخبر وتعرف اليه معظم امراء الهند . لم تستطع زوجته الاقامة في الهند فرحلت الى لندره وكأنها لم تعلم ان الفراق الابدى اذ لم يمض على سفرها بضعة أيام حتى أصيب السير ويليم بمرض عضال عقب ميته في روضة من الرياض فاشتدت عليه وطأة المرض وأنها لأيام حتى حل به اصدق المواعيد فقضي نحبه ثلاث بقيت من شهر أبريل سنة ١٧٩٤ ومازاع خبر موته حتى رن الاسي في انحاء انجلترا وعم الحزن جميع البلاد . . . مات السير ويليم ولم يشهد الخمسين من عمره وترك له ذكرى تناقلها الاعقاب

— ٩ —

جون ليدن

ولد جون ليدن لثمان خلت من شهر سبتمبر سنة ١٧٧٥ في قرية صغيرة على مقربة من (روكسبرجز) وكان ابوه مزارعاً صغيراً يأجر يومي لا يتجاوز ثمان شلنات في الاسبوع . وتلقى جون مبادىء القراءة على جدته وما اوفى على السابعة حتى تحركت نفسه الى قراءة الانجيل فقراه واستمرأ لذة القراءة فظل يقرأ كل ما حصل عليه من قديم الكتب ومالت نفسه لقرض الشعر فطالجه وكان يقضي ساعات طوالا في فهم قصائد متأنقي الشعراء . جاز العقد الاول من حياته فارسل الى مكتب صغير يبعد ميلين عن القرية بيد أنه لم يلبث إلا يوما أو بعض يوم حتى أغلق المكتب لوفاة ناظره فرجع المسكين يجر اذيال الخيبة على حظه الصافر . ظل جون في دار أبيه يدرس على انفراد وكان له صديق من اماثل قومه يحترف الحداده فابلغه يوماً ذلك الصديق ان لديه كتاباً نفيساً يحوق قصصاً ونوادر تاريخية فاشتاق جون

الى قراءة ذلك الكتاب وفي صباح اليوم الثاني ذهب الى دكان الحداد فوجد والد صديقه . سأله ان يعيره الكتاب فأبى فكرر السؤال فاسرّ الرجل على الاباء وقد حضر صديق چون وبجدع الانف سمح له بقراءة الكتاب على شرط ان لا يذهب به الى داره فقبل وظل دعامة يوم بدون اكل ولا شراب حتى انتهى من قراءته . كان أبوه فى ذلك الوقت اشد الناس اسفاً على ضياع مستقبل ولده الذى يعهد فيه الذكاء وحب التعليم وقد عمد الأب على تحمل المشقة وضاعف ساعات عمله حتى استطاع ان يعهد بولده الى استاذ يدعى دنكسن يتلقى عليه بعض العلم وبعد مضي حولين اتم چون الدراسة الابتدائية فارسل الى كلية (ادنبره) فى نوفمبر سنة ١٧٩٠

لم يكد يستقر فى مكانه الجديد حتى ابتدأ أقرانه يتهزؤنه ويسخرون منه وهو مع ذلك صابر النفس لم يأبه بهم ولم يعبأ بهزرهم واندفع الى الدرس والاستذكار بتيار العزة فبز اقرانه ورضى عنه اساتذته وفاخروا به فاحسن اللغة اللاتينية وكان اول من اتقنها فى الكلية . انكب على الدراسة حتى انتهى وهو ملم بمبادىء اللغة الفرنسية والايطالية والعبرانية

واليونانية والفارسية والعربية

سعى له رئيس الكلية فالحقه بوظيفة مدرس لابناء رجل من جلية « ادنبره » فلم يمنعه ذلك من مزاولة الدراسة بل زاد شغفه بها حتى اخرج لعالم الادب بعد حولين كتابا نفيسا يبحث في علم التاريخ والفلسفة فانتشر كتابه وذاع وكان يراسل بعض الصحف والمجلات الانجليزية فتيه ذكره فشرف الى شاعر الانجليز النابه السير ولتر سكوت وفي سنة ١٨٠١ ظهر له كتاب في وصف الحياة الاسكتلاندية والنظم والنثر الاسكتلاندي فاكبرت شأنه الصحف ونال مالا جماً وجاهاً عريضاً وشهرة عظيمة

اعتزم بعد ذلك السفر الى الاقطار الهندية فساء اصدقاءه خبر سفره وحاولوا جهدهم ان يثنوه بيدا انه كان قد عقد النية فبرح انجلترا في ابريل سنة ١٨٠٣ على ان لا يعودها ثانيا . لما وصل الى الهند ونزلها لاقى من الصعاب اشدها وسدت في وجهه ابواب الرزق فكاد ينفطر اسى لولا يقينه من العزم وفي سنة ١٨٠٦ قرض قصيدة رائعة بعث بها الى صديق له في انجلترا وصف فيها كل ماناله من قشف العيش

وسوء الحظ .

كان في « سينساج » فرحل الى « كلكتا » وقد درس حينئذ شيئا من عادات الهنود واخلاقهم وتمكن من درس لغتهم فوصل خبره الى اللورد « مسيتسز » فالحقه بوظيفة مدرس في جامعة سنفال فابلى بلاً حسنا واتقن اللغة الهندية وبعد بضعة اشهر عين قاضيا صغيراً ينظر في الأمور المدنية فاحسن عملا ولم يلبث ان نمي ذكره الى الحكومة الانجليزية وكانت قد شرعت في اعداد حملة لاحتلال جزيرة « جافا » وانتدب جون لمرافقة اللورد « مسيتسز »

حاز في ذلك الوقت لقب « دكتور » وذهب مع الحملة ونزل الى الجزيرة بعد موقعة كان النصر فيها حليف الانجليز وما وصلا الى العاصمة « باتافيا » حتى اخذ الدكتور جون في الاطلاع على القوانين وكتب تقريراً ارسل به الى الحكومة الانجليزية فاثنت عليه غير ان الشقاء لزمه ملازمة الظل فقضى ليله في غار كان يتفقد آثاره وخرج فاصابته هزة شديدة اعقبتها حمة طرحته الفراش ولم تطل مدة مرضه فقضي نحبه لتسع بقية من شهر اغسطس سنة ١٨١١ وهو في السادسة

والثلاثين من عمره اعتبطت المنية ذلك العصامي فراح ضحية خدمة وطنه فعرفت له امته فضله ونشرت مصنفاته سنة ١٨٢٦ واحسنها كتابه «مذكرات بابر» ولفداً ثار نعيه كوامن نفسي شاعر الانجليز النابه السير ولترسكوت فرثاه بقصيدة عصماء قال في مطلعها — مات الرجل والرجال قليل

١٠

جورج بوكاين

في احشاء التاريخ صحيفة خالدة ناصعة السطور لعصامي حسن السمعة اسمه جورج بوكاين ولد في قرية (لكسبرين) « في ستر نحشة » في شهر فبراير سنة ١٥٠٦ من ابوين نضرين اصلها ثابت كان ابوه مزارعاً ناله من قشف العيش ومرارة الحياة ما استطاع ان يذلله أياما معدودات وقضى بعدها فاصاب أسرته من التعس ونكد العيش ما اصابها فاعول بنوه الثلاثة وبناته الأربعة . كفلت الأم تربية ابنائها واحسنت ادارة المزرعة بما وهبته من الفطنة وحدة الزهن وأرسلت ولدها جورج الى مكتب القرية حيث تم دراسته الابتدائية فكفل له خاله وقد اعجبه سرعة خاطره وذكاؤه فارسله سنة ١٥٢٠ الى كلية باريس حيث اكب على الدراسة والتحصيل فنجح وما مضى عليه في الكلية حول كامل حتى غال الردى خاله فاصبح جورج وليس من يقوم بنفقات تعليمه فانقطرت نفسه أسا وأصيب بمرض طرحه فراشاً.

ابل من مرضه فرجع الى دار أمه ولبث عاما فاضجرته البطاله وأسأمته العطلة فتوسل الى كرام الاساتذة فقبل تلميذاً في «سانت اندور». احسن دراسة علم المنطق ونال في الثالث من شهر اكتوبر شهادته ورضاء استاذه الذي استصحبه في سفره الى باريس والحقه بكلية «سكرتس» فلبث هناك حولين نال في نهايتها شهادته العليا فسعى له رئيس الكلية فالحقه بوظيفة مدرس نحو في «سنت بارب» فظل في مركزه الجديد عامين

كان امراء اسكتلاندة في ذلك الوقت يرسلون اولادهم الى باريس يتلقون العلوم فيها فكان من تلاميذ جورج اذ ذاك جلبرت كندى «ايرل كاسيليس» الذي شهد لأستاذه بالذكاء والمقدرة واختاره مربيا له فقبل جورج ولبث يربيه ويهذبه خمسة اعوام

رحل الملك جمس الخامس الى باريس سنة ١٤٣٩ ليختار له زوجة فعلق ماجدلين ابنة الملك فرنسيس الأول وحظى الايرل جلبرت بالمثول بين يدى الملك الذي نصح له بالذهاب هو واستاذه في معيته الى اسكتلاندة

رحل بوكاين مع تلميذه وهو أشد مايكون فرحا ونزل قصر « ابرشير » وكان بوكاين في ذلك الوقت مشتغلا بوضع كتاب ضد حزب الفرنسيسكان فعلم أفراد الحزب خبر هذا الكتاب فحقدوا عليه واسروا له الانتقام فلما وقع الى سمعه ذلك اعتزم الرحيل بيد أنه لم يتمكن اذا نمى الخبر الى الملك فهداه خاطره وأمنه على حياته ووعده بأن سيكون مربياً لولده . قويت رغبته في اتمام كتابه حينئذ وافهم الملك الخبر وشنع بالقسيس حتى صار الملك ملما بسر المسألة وعلم بالمؤامرة التي دبرت لاغتياله بيد انه انخدع فقد تمكن الكاردينال « ينون » من التأثير على الملك وطلب منه قتل بوكاين وقد يئس جورج حينئذ وفر هاربا الى « سورو » خوفا من الموت وهناك تمكن من الالتحاق بوظيفة مدرس في الكلية اللاتينية وظل يحاضر ثلاث سنين وقرض قصائد بديعة ووضع عدداً من المآسي والقصص المحزنة

كان رئيس الكلية رجل برتغالي يدعى « اندروجوفا » نصح الى بوكاين بمرافقته الى « برتغال » ووعده بالمساعدة فقبل ورحل معه سنة ١٥٤٧ . افتتح ملك البرتغال في ذلك

العام كلية « كويرا » وعهد الى جوفا اسفان الأساتذة فكان اول من الحق بالكلية بوكاين بيدانه لم يلبث الا قليلا حتى قضى جوفا نحبه وقد انتشرت الفتن اذ ذاك واصبح بوكاين وحيدا فتنكد له الدهر وعملت على شقوته الايام فالقى عليه القبض وزج في السجن بجريمة التجسس ولكنه هرب فوصل الى انجلترا سالما . لم يزل الشقاء يجد في اثره ويجد هو في الهرب منه فيجد حتى رحل الى فرنسا وهناك جعل مؤدبا لابن المارشال « دي بريزال » وظل يؤدبه خمس سنين . عاد في يناير سنة ١٥٦١ الى اسكتلانده وقد نوهت الصحف بخبره فاسعده الحظ وانتدب مقرئا للملكة ماري التي قرض لها قصيدة عصماء نال من ورائها مالا جما وشهرة عظيمة وفي سنة ١٥٦٤ عين رئيس مدير (كروسا جال) وفي سنة ١٥٧٠ اتخذه البرنس جيمس مؤدبا له فتعب في تأديبه اذ كان البرنس ميالا للهو واللعب لا يرجى له نجاح فلما اجتهد بوكاين حتى انبت تلميذه نباتا حسنا فاغدقوا عليه الخير واثنت عليه الصحف وقد وضع في اواخر ايامه كتبا قيمة في التربية والآداب . اعتل ذلك الجسم وانهكه العمل فقضى

ثلاث بقيت من شهر سبتمبر سنة ١٥٨٢ وقد بلغ من العمر نيفا وسبعين سنة قضاها في خدمة العلم والأدب

— ١١ —

هوج ميلر

ولد هوج ميلر في الثاني والعشرين من شهر اكتوبر سنة ١٨٠٢ في (كرومستري) في شمال اسكتلاندة من اب توفي وماهي إلا ايام قلائل من ميلاده حتى وفق ابوه الى شراء سفينة صغيرة بيدانه لم يلبث غير يوم اوبعض يوم حتى قضى نحبه تاركا ولده رضيعا . . . ارسل هوج الى مكتب القرية حين بلغ السادسة وكان فطرة الذكاء يمتاز عن اقرانه بميله الى الشعر والشعراء حتى اذا اتم دراسته الابتدائية قراء كثير من قصائد متأنقي الشعراء ودرس تاريخ اسكتلاندة باتقان

جاز العقد الأول من حياته وهو منكب على الدراسة وكان عمه يكفله فاختار له درس التاريخ وعلم طبقات الارض

وبث في الفتى روح التعليم وشجعه على المثابرة ثم ارسله الى مدرسة صناعية يدرس فيها فنانين الفنون الجميلة بيد أن هوج اختار لنفسه مهنة البناء فلم يرض ذلك عمه وأمه اذ كانا يرغبان ان يتعلم مهنة شريفة ولكن ذلك لم يثنه عن عزمه فتفرغ للبناء واشتغل بقطع الاحجار ونحتها ولكنه لم يحصل على النتيجة التي يرمي اليها وهي معرفة هندسة البناء

ظل كذلك ردحا من الزمن وهو كلما خلا الى نفسه يقول اشتغل اليوم كعامل صغير ومواهبي لا تقل عن مواهب اولئك الرجال الذين شرفت البلاد بهم وحفظ لهم التاريخ مجداً وذكرى فلم لا اجهد نفسي في الوصول الى نتيجة مرضية تفرغ بعدئذ لدرس علم طبقات الارض منفرداً فكان يضع قطعة الحجر امامه فيناجيها آونة ويدقق النظر فيها اخرى ثم يشتغل بالنقش عليها حتى اذا رآه احد وهو على تلك الحالة لا يقول عنه الا مأخوذا ذهب به

انتهى امره بان ظفر بثمرة تعبه واستمرأ عاقبة صبره وبعد ان كان يحادث الاحجار اصبح يقرأ على اخوانه ما وصل اليه في بحثه فنمي خبره المهندس الذي ادهشه ذكاء هوج

ومثابرته على الدراسة حتى تمكن من الماما بعلم طبقات الأرض.

عين زعيما للبنائين فاستقام في عمله ثم شخص الى اوتيرو وقد سجاز العقد الثاني من حياته فوصل اليها والتحق بعمل جديد كان على مقربة من غابة شاسعة فكان يقضي وقت الفراغ متجولا في الغابة يدرس الاشجار وعروقها وطينة الارض وأسباب جدبها وخصوبتها ولم تكن علاقته بزملائه حسنة فحدث خلاف بينه وبينهم فسئم عشرتهم وعاد الى منزله منهوك القوى مريضاً

ابل من مرضه فرحل الى (انفرنيس) وهناك وضع ديوانا في الشعر طيرت الصحف خبره وتمكن من طبعه فنال من ورائه مالا جما ونشرت صحيفة (الحرية) قصيدته العصماء المسماه (قصيدة البناء المتجول) فنالت قسطاً وفيرا من الشهرة فاستطاره الفرح ورجع الى (كرومتري) فعلم سكانها بخبره فهنأه فحول أدباؤها وصاغة الكلام بها وتنبأوا له بمستقبل باهر. عاق في ذلك الوقت بالآنسة (ليديافربرا) الذي عقد عليها بعد بضعة أسابيع وكان قد ذهد في البناء وتفرغ للصحافة

انتدبه مصرف (اونبره) وكيلا في انفرنيس فشغل منصبه الجديد ولم يمنعه ذلك من مراسلة الصحف التي كانت تمده بالمال ليمدها بكلماته التي كانت احسن ماسطرته يد الكتاب في ذلك العصر

عين بعد ذلك رئيسا لصحيفة ظهرت في انفرنيس فراجت رواجا عظيما وكانت تظهر دفعتين في الاسبوع يعلى صدرها في كل دفعة مقال بقلم هوج اما في علم طبقات الأرض أو في الأدبيات وقد كتب الدكتور (بكلند) في صحيفة (الوتنس) قال اتمنى ان تبتر احدى يدي في سبيل ان اكتب كلمة مثل كلمات الأستاذ النابه هوج في علم طبقات الأرض

ظل هوج على هذه الحالة حتى انهكه التعب واضناه السهر ففي سنة ١٨٥٦ اصابه ضعف في الجهاز العصبي فتولاه الوهم فكان يحمل مسدسا في ذهابه وأيابه وكان يبيت الليل مضطربا مروعا يفرق ولا شيء فاستدعى الطبيب واخبره بما يشعر قال له اشعر بضعف في قواى العقلية ولست بقادر على الاحتفاظ بذاكرتي ولم اغش الليلة الفارطة ولا أود أن اعيش على هذه الحالة وقف عن العمل وكثر تردد الاطباء

على داره وفي الثالث والعشرين من شهر ديسمبر كان يحادث اولاده ويقراء لهم بعض قصائده ويلقنهم مبادىء الأدب حتى حان موعد النوم فتركهم ودخل الى مكتبه واذا برق الصبح تفقدوه فاذا هو جثة هامدة ازهق روحه بشيء من السم تخلصاً من جنونه ثم كتب الى زوجه سطوراً يودعها بها ويظهر فيها توجعه قال :—

عزيزتي ليديا

ان عقلي يحترق وقد تسلط عليَّ سلطان الوهم ويخيل الى اني اموت قتيلا. رحمتك اللهم يارافع السماء انك اودعتني عقلا به نبه ذكرى فلئن انتزعته مني فاني اذن من الهالكين

وداعاً ياعزيزتي ! ان عقلي يحترق اى ابنائي ! وداعا ويتكفلكم الله وهب اياكم نعمة ثم سلبها فلئن قست بي الايام فلقد تشفق عليكم وتحنو . سألتقي بكم ياأولادي في دار لا اثر للشقاء فيها فوداعاً ليديا : ليديا الى الملتقى . . . هوج

ما انبثق اليوم وذاع خبر موته حتى هامت الأمة الانجليزية ومزق الحزن نياط ادبائها وخطبائها فشيعوه الى مقره الاخير حيث سقوا قبره فيضي دموعهم ففي سبيل الله ايها العصامي المبرور

— ١٣ —

روبرت برنز

كان برنز رجلا نابه الذكر عضب اللسان سليم الملكة من متأنقي الشعراء ولد لخمس بقين من شهر يناير سنة ١٧٥٩ في بلد يبعد ميلين عن مدينة (ايرٍ) وكان الشعر في اسكتلاندة وقتئذ بمنزلة بين الضعف والحاجة وما كاد يشهد خمسة عشرة ربيعاً حتى قرض قصيدة رن صداها في انحاء انكلترا

نشأ برنز في والدين شريفين أب شفيق طيب القلب وام ناصعة البيان مستملحه الأدب بيد أن الفقر كاد يأتي عليهما لولا صبر اولي العزم تلقى برنز مبادىء اللغة في مكتب القرية وتم هناك قراءة « كتب التاريخ ومآسي شكسبير ويوسب الخ التي قال عنها كنت افني وقت الفراغ في قراءة تلك المآسي البديعة وكنت اتغنى ببعضها اذا سرت في الليالي المقمرة في ضواحي القرية) مكث على هذه الحالة بين الاستذكار والتريض حتى اوفى على السابعة عشرة فقال

(سرت العادة ان يختار الفتى زوجة له تشاركه في عمله وتقاسمه هناءه وشقاءه وقد علقت وقتئذ فتاة في نضارة العمر وريعان الصبا فلبثت احبها ردحا من الزمن وحدث انى مرضت فملكني الجزع واشتد حزني فصرت اعودها طرفي النهار واجلس اليها احدثها واخفف عنها الآمها حتى ابلت وكنت وقتئذ مريضا بالشعر شغوفا بقرضه مغالجة وساعدني على ذلك سلطان الحب فقرضت قصيدة عصماء وصفت فيها محبوبتي) . . جاز برنز العقد الثاني من حياته فرحل الى (ارفين) وقد وفق ابوه الى شراء مزرعة صغيرة زرعها كتاناً فعهد الى برنز تعليم فن النسيج وكان برنز في ذلك الوقت مستقلا بالشعر حيث قرض قصائد عدة قدر لها ان تنال قسطاً وفيراً من الاذاعة والشهرة وعاد بعد زمن الى مزرعة ابيه في (موسجال) ومكث اربع سنين اخرج فيها لعالم الادب عدة من المآسي التي كان يكتبها وهو في المزرعة

قضت حبيبته (ماري كمبال) نحبها فتغلب عليه الحزن والاسى وكاد يقضي لولا ما الهم من الثبات فقرض قصيدة عصماء رثى فيها بدره الذي هوى من سماه . مضى زمن

وهو حزين كئيب واحب بعد ذلك (جيان اربور) وهي التي عقد عليها بعد زمن . اعتزم الرحيل الى (جيكا) بيد انه كان معدماً فاجتهد حتى حصل على عشرين جنيهاً فتأهب للسفر وقد انتشر ديوان شعره في ذلك الوقت وعلم قس القرية بعزم برنز على الرحيل فارسل ديوان الى الدكتور « بلاكلوك » واخبره خبره فكتب الدكتور الى برنز مقرظاً ديوانه ناصحاً اليه بعدم الرحيل واعداً اياه بالمساعدة ان هو حضر الى « اونبره » فرحل برنز الى (اونبره) وهو اشد مايكون مرضا ووجد في انتظاره ثلة من الاصحاب سمية الى داره وهناك (اونبره) طبع ديوانه الثاني فنال من ورائه مالا جما وشهرة عظيمة

عاد الى (موسجال) في يونيو سنة ١٧٨٨ فوجد أمه في حالة يرثى لها من شدة كدرها عليه فعانقها وكادت تقضى من الفرح ووضع بين يديها ماحصل عليه من مال واخبرها ماناله من جاه وشهره فاستطارها الفرح ولم تكن ترجو ان يعود لها ولدها متوجا بامل النجاح وهو قد تركها باتساشقيا

عقد على « جين أربور » حينئذ وجاء بها الى المزرعة

ولبث ينفق على المزرعة حتى فقد ماليه وقد زرع الرجاء فلم يثمر واخذ الشقاء يجد في اثره فرحل عن مقره وذهب الى (دمفريس) وهناك استسلم للحزن والاسي فقرض قصائد دار لها فلك البلاغة وقضى نحبه في الحادي والعشرين من يوليو سنة ١٧٩٦ وما كان ينشر خبر موته حتى رن الاسى في اسكتلاندة فنظم شعراؤها قصائد الرثاء والقى الخطباً في تأبينه كلمات مؤثرة لاتزال تخلد له آيات مجده وفخاره

صفير الصباغي

تطلب هذه الكتب

من

مكتبة العرب بالفجالة

قرش	
٢٠	الفجر الاول وهو ديوان خليل شيبوب الشاعر المشهور
٢	بيضة الفرخة وهو بحث مفيد لذيذ
١٥	هداية الاطفال للمرحوم حسن توفيق
٥	في سبيل الله والقيصر أو عصر الروس الماضي
١٠	مجموعة اجمالية في أهم المواد والاجراءات الادارية والجنائية
٢	صياد النساء أو الوحش الفرنساوى لاتدرو قاتل النساء بباريز
٥	نزهة الخاطر في قريض الامير عبد القادر الجزائري
١٠	التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العلية
١٥	فصل الخطاب في أصول لغة الاعراب للشيخ ناصيف اليازجي
٥٠	الرحلة السلطانية وهي رحلة جلالة الملك فؤاد بالوجهين البحري والقبلي جزءان للمرحوم عبد الحليم المصري